



ذاكرة الأمل في العراق

وقائع المؤتمر الدولي الثاني

17-16 نيسان 2025م



المجلد الرابع الأوراق البحثية

طوز والليالي السوداء

عباس خليل كريم

ملخص البحث

هذا البحث محاولة في تقديم وقائع عن مدينة طوز خورماتى، بأرشفة تاريخية وثائقية لما عانته من مآسي في أثناء الحرب الطائفية والتهميش القومي على يد التنظيمات الإرهابية التكفيرية وكيف حصدت الأرواح الطاهرة من المدنيين العزل بالقتل الممنهج على الهوية، فثمة موت ورعب ودمار، وعمليات انتحارية وحشية، حاول البحث تسليط الضوء عليها، مع استدعاء تمثيلات واقعية وأخرى تخيلية، اقترابا من الرواية السيرية، توثيقا للألم والموت الأسود الذي عانته مدن الصمود التركمانية، وما عاناه أهلها إبان حكم البعث، ومن ثم احتلال داعش، لتخوم المدن التركمانية، ومنها مدينة طوز خورماتى، وما خلفته هذه التنظيمات من الوباء التكفيري والداعشي من خراب للمدن وإيذاء نفسي لأهلها.

الكلمات المفتاحية: طوز خورماتى، الألم، داعش.

هوية الكتاب

وقائع المؤتمر الدولي الثاني ذاكرة الألم في العراق

قرن من الجرائم والإبادة الجماعية والمجازر والانتهاكات

المشرف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري -الدكتور عباس عطية القريشي

تحرير: أ.د. قيس ناصر راهي - د. نائر غالب الخيكاني

المؤلف : مجموعة مؤلفين

الناشر: المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف / العتبة العباسية المقدسة

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

سنة الطبع: 2026م

الترقيم الدولي: 978-9922-262-02-4

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية: 2026 / 124

التدقيق اللغوي: أ.د. مصعب مكي زبيبة

الإخراج الفني: كاظم سعيد الفتلاوي

حجم الكتاب: 270 × 190

عدد الصفحات: 266

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا

الكتاب من دون إذن خطي مسبق من المركز

تنبيه: إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر .

المحتويات

٧	ذاكرة الألم والعدالة الانتقالية
١١	ذاكرة الألم العراقي - الآشوريون المسيحيون حالة للدراسة -
٢٥	عملية الأنفال الأولى ضد الكرد الفيليين في العراق قضية إبعاد ورهائن لمواطنين عراقيين من قبل نظام صدام البعثي، ١٩٨٠ إلى ١٩٩٠ م
٣٧	التأثيرات العرقية والاجتماعية والنفسية للقومية التركمانية من جرائم التطرف
٥٣	التهجير القسري والإبادة الجماعية ضد المكون التركماني في العراق
٨٧	ترحيل الشبك ١٩٨٨ م
١٢١	الإبادة الجماعية لناحية تازة خورماتو سنة ١٩٩١ خلال الانتفاضة الشعبانية المباركة لتركمان الشيعة
١٥١	ذاكرة الألم والمعاناة للتركمان في طوز خورماتو خلال حقبة نظام البعث: تحليل تاريخي (ما قبل وما بعد عام ٢٠٠٣)
١٧٧	من ذاكرة ألم تازة خورماتو نموذجاً هيروشيما العراق بعد ٢٠٠٣ م
٢٠٥	الشبك والنزوح الكبير
٢٣١	طوز والليالي السوداء
٢٥٩	توصيات المؤتمر

Abstract:

This research attempts to present the facts about the city of Tuz Khormaty historical documentary archive of the suffering it endured during the sectarian war and national marginalization at the hands of takfiri terrorist organizations. It documents how they systematically claimed the lives of innocent civilians based on their identities. There was death, terror, destruction, and brutal suicide operations. The research attempts to shed light on these sufferings, using both realistic and fictional representations, approaching the biographical narrative. It documents the pain and black death experienced by the steadfast Turkmen cities and their people during the Ba'ath regime and then the ISIS occupation of the outskirts of Turkmen cities, including the city of Tuz Khormaty. It also documents the Takfiri and ISIS epidemic that these organizations left behind, destroying cities and causing psychological harm to their people.

Keywords: Tuz Khormaty, pain, ISIS.

١. المقدمة

لتعريف القارئ بما حدث للمواطنين من سكتة قضاء طوز خورماتو التابع إلى محافظة صلاح الدين، أثناء الفتنة الطائفية التي بدأت في العراق، بعد سقوط نظام صدام البعثي وللمدة من 2004 إلى 2014 التي استمرت أكثر من عشر سنوات حرق الأضرحة واليابس، وجعلت هذه المدينة تعيش مأساة حقيقية من ظلم وعذاب جسدي، وألم نفسي تمثل بقتل أكثر من (2000) شخص مدني بريء مسلم، وجرح أكثر من (4000) مصاب بين من فقد أحد أطرافه أو أصيب بعاهة أقعدته عن الحركة وأغلبهم من الشباب، وهذه النسبة للذين أصيبوا مباشرة في العمليات الإرهابية كالتفجيرات الانتحارية، أو العبوات المزروعة على جوانب الطريق أو ملصقة على سيارة أو السيارات المفخخة، ولم تسجل أية حادثة أو معركة مباشرة مع الإرهابيين، لأنهم جماعات اتخذت أسلوب التخفي والغدر في استهداف الأبرياء بجماعات ممنهجة فقط للقتل، يستندون إلى فكر أصولي متطرف، يكفر كل من لا يتبع منهجهم، الذي ينص على قتل كل من يعارضهم ويرفض خطابهم التكفيري، مستندين إلى تأويلات لأفكار الدعوات السلفية التي تدعو لمحاربة من يختلف معهم، وحسب وصفهم الشيعة عبدة القبور، والسنة المعتدلين مخانث، وبقية الديانات من المسيحيين وغيرهم كفار، يحق لهم تكفيرهم وإباحة دمائهم وإبادتهم بكل الوسائل في قتل الرجال وسبي نساءهم، وسلب ممتلكاتهم.

وجميع العمليات الإرهابية كانت منظمة بشكل دقيق جدا، وتنفذ بشكل سري يصعب اكتشافه، وحين يلقى القبض على أحدهم متلبسا لم تكن الجهات الأمنية قادرة على إدانته، والبعض منهم كان يحصل على دعم قوي جدا من جهات سرية، ويتم تبرئتهم أمام المحاكم، وأحيانا بدفع مبالغ كبيرة جدا للدفاع عنهم أو تغيير مسار التحقيق وتغيير أقوال الشهود، وأحيانا اللجوء إلى تهديد الشهود إذا وجدوا وقتلهم بشكل مباشر، دون أي رادع أو خوف من عقوبة وحساب، وعدم إيلاء أي اعتبار للنفوس التي سوف تزهد سواء أكان طفلا أو شيخا أو امرأة؛ لأن أغلبهم كانوا يفلتون من العقوبة، لقد انكروا كل المبادئ الإنسانية، والقيم النبيلة والأخلاق الكريمة وطبيعة النفس الإنسانية التي ركبها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس)، فالله سبحانه وتعالى يحمل الإنسان مسؤولية الاختيار بين الاعتدال والتوسط في تركية نفسه، ورذيلة التطرف والتعصب بالفجور وخذلان النفس عن الهدى من حرمة دماء المسلمين، والناس على هذا الحال لا حول لهم ولا قوة، سوى الدعاء والتضرع إلى الله والصبر حتى الخلاص من هذه المصيبة التي حلت على رؤوسهم.

أما عن الجانب النفسي وهو الأهم فقد أثرت هذه الأعمال الإرهابية كثيرا على الحالة النفسية للمواطنين في هذه المدينة الصغيرة، فالخوف الفوبيا التي صنعها الإرهاب، بات يلزم الجميع وأصبح ألما ليس كمثل ألم وعذاباً يجلد النفس ويدفع إلى اليأس، وتذمر من الحياة المريرة، ليسكن الحزن قلوبهم ويلازمهم القلق على مدار الساعة، فأصبحت الحياة كمن يعيش في سجن يترقب ساعاته ليساق إلى الإعدام دون أي ذنب، سوى كونه تركمانيا شيعيا، يوما بعد يوم تتوالى المصائب من كل حذب وصوب ما أن نعود من المقابر حتى نخرج إلى المستشفيات، لمتابعة حالات الجرحى أو ندور بين الحسينيات وقاعات الفواتح، التي باتت أماكن لا تعرف متى تفجر، والموت الذي أصبح رفيقا يصاحبنا في كل خطوة لا نخشاه بل نسير إليه، وكل يترقب متى يكون مع من سبقوه إلى المقابر، وكنا نفضل الموت على أن نكون جرحى؛ لأننا وجدناه خلاصا مما يعانيه الجريح من عذاب وألم، وأقصى ما كان يؤلمنا هو صوت عويل النساء، وهن يترقبن وصول جثث أولادهن أو أزواجهن، وكنا ومع كل دوي انفجار وكأن الأرض توقفت عن الدوران، وتتحجر حدقات العيون، ويكاد القلب يخرج من بين الأضلاع، خوفا من أن يكون الانفجار قد قتل أبرياء، فكلهم أهلنا وأقاربنا وأصدقائنا.

2. منهجية البحث

1.2. مشكلة البحث

ثمة اعتقاد راسخ أن ما تعرضت له المدن التركمانية أيام الطائفية وبروز تنظيم داعش واحتلاله أجزاء مهمة من أرض العراق، قد أحدث خللا بنيويا في تلك المدن وما عانته هذه المدن من موت أسود، أصبح قضية قومية لشعب التركماني، وعليه يمكن أن نعرض الأسئلة أدناه:

- إن مدينة طوز خورماتى تنتمي إلى فضاءين تركماني وآخر ديني، والوقائع تثبت أن التنظيمات الإرهابية اشتغلت على القضية الإثنية؛ مما أدى تأثيرها على بنية المجتمع التركماني:
- كيف يمكن لنا أن نورشف تلك الحقبة المظلمة، تاريخيا، معرفيا، سرديا، سيولوجيا؟.
- كيف كانت استجابات الطيف التركماني لتلك الأفعال الممنهجة قتلا على الهوية؟.
- هل يمكن أن نعيد رسم خارطة جديدة لوجودنا ضمن جغرافيا مليئة بالألغام التي تحيط بنا، إسلام، عرب، أكراد - إثنيات أخرى؟.

2.2. أهمية البحث

تكمن أهمية البحث - كما نعتقد - أنه بحث يستشرف تسجيلا وقائعا تارة، وتخिला تارة أخرى، لرصد الظاهرة الطائفية والعنصرية على المدن التركمانية بطابع إثني مقصود، وكشف ملابسات ما حصل في حقبة الأنظمة التي حكمت العراق منذ تأسيسها إلى يومنا هذا.

3.2. أهداف البحث

- تحليل وتوصيف مدينة طوز خورماتى جغرافيا، وسوسولوجيا ودينيا.
- الوقوف على جانب مما فعلته التنظيمات الإرهابية المتطرفة في مدينة طوز خورماتى.
- ضرورة التفات الحكومتان (صلاح الدين وبغداد) لما عانته مدن التركمان، وتحديد مدينة طوز خورماتى.

4.2. فرضية البحث:

- الفرضية الأولى، وجود مسوغات علمية، تفترض علمياً أرشفة تاريخية لتلك الحقبة السوداء.
- الفرضية الثانية: مدى حضور المكون التركماني إبداعاً معرفياً في تسجيل تلك الوقائع، وبيانها للرأي العام، وثيقة إدانة في السجل الإنساني.

تمهيد

العمل على تثبيت الوقائع، والأحداث في بحث مقتضب، حول ما جرى من ترهيب وقتل وتشريد وظلم، نحسب أن الشعب التركماني بحاجة إلى تكثيف وإيجاز تلك الأحداث في سطور قليلة، التي هي في الواقع لا تكفيها المئات من الصفحات، وحسب متطلبات هذا البحث، سوف نورد هنا المآسي وننتقيها من ذاكرة الأيام، وقد يتساءل البعض عن جدوى ذكرها، أقول هي محنة عظيمة ممزوجة بالدم والدمع تختزلها أيام الصبر على تحمل مصائب، نادراً ما يعيشها قوم في زمننا هذا؛ لأنها ليست مختصرة بأيام أو شهور، إنها سنين سوداء تحملها رياح الكراهية والحقد الدفين، لمحو مبادئ سامية وعقيدة رصينة نقية، مكلفة بأخلاق تستند على موروث عظيم من الثقافة، تمتد إلى مئات السنين، تسامت وزهت بأصالتها العريقة، لا يمكن محوها أو تغييبها مهما طال الزمن.

نبذة مختصرة عن المجتمع التركماني، وجودهم مناطقهم تراثهم الثقافي

التركمان شعب أصيل كانت (السالنامات) العثمانية تطلق تعبير (الأتراك أو الترك) على الأقوام والمجتمعات، التي كانت تقطن شمال العراق ووسطه، والذين يسمون اليوم التركمان؛ إذ يذكر بعض المؤرخين أن أصل السومريين آسيوي، ويعود إلى استيطان التركمان (الترك) في العراق إلى عهد فجر التاريخ، وثبت التنقيبات الأثرية في (تركستان) أن هجرة السومريين من تركستان إلى العراق، وقد تم العثور على نماذج متشابهة من آثار في تركستان للآثار السومرية في بلاد ما بين النهرين ميزو بوتاميا (Mezoptamya) وبعد دراسة هذه الآثار تبين وبشكل يزيل الشك حول نظرية هجرة الشعب السومري من آسيا الوسطى (تركستان)، إلى بلاد ما بين النهرين وبه يسجل الأصل التركي. (أوزمن حسن، 2002، ص 150) ويفيد المؤرخ التركي إبراهيم قفس أوغلو، أن تعبير (التركمان) بدأ استعماله في القرن الخامس الهجري (fazil Mehdi Beyat / P16)

أما في التاريخ الإسلامي يعود تاريخ دخول الترك إلى العراق أيام بني أمية، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان، وبيان ذلك أن معاوية ولى عبيد الله على خراسان سنة (55 هـ)، فعبر عبيد الله نهر جيحون في أربعة وعشرين ألف مقاتل عربي، وكانت السلطة في بخارى قد آلت إلى (خاتون) ويطلق على المرأة التي تتسيد قومها ويطاع أمرها تركية من بنات الأمراء (تاريخ الأمم والملوك للطبري).

ويذكر المؤرخ عباس العزاوي في كتابة تاريخ العراق بين الاحتلالين (أن لفظة الترك والتركمان تطلق اليوم على الذين يقطنون الأراضي التي تفصل بين المنطقة الكردية والعربية) (العزاوي، عباس، 1982 ص 410)

أما مدينة طوز خورماتو والمناطق المحيطة بها فأغلب سكانها من عشائر البيات (عشائر البيات التركمانية الأصلية، التي تنتشر في ربوع شتى، من بلادنا العراقية، مع تركزها في منطقة طوز خورماتو وما جاورها، ويسمى الرحالة ريج بمضارب البيات) (الضابط - شاكر صابر - 2015 ص 4) أي المناطق التي يقطنها التركمان وكما هو معروف إلى يومنا هذا فإن جغرافيتها تمتد من تلعفر نزولا نحو الجنوب الشرقي من الموصل، والرشيديّة، التون كوبري، كركوك، تازة، داقوق، طوز خورماتو، كفري، جلولا، قزلرباط، قزانية، مندلي، حتى الحدود العراقية الإيرانية، إضافة إلى مناطق متفرقة من بغداد والحلة والكويت، وليست هناك إحصائية دقيقة لعدد التركمان في العراق، لكن بحسب المعطيات الحديثة ونسب السكان المدن التي يقطنونها وبعض المحافظات الأخرى وحسب وما أفرزته الانتخابات يمكن تقدير عددهم بثلاثة ملايين تقريبا.

وعطفا على ما ذكرناه يتضح للقارئ أن التركمان جزء أصيل من الشعب العراقي، وكما نوهنا سابقا، يعود جذورهم إلى عهود مختلفة، كما ذكرتها مصادر كثيرة ومدونات، منها أن (أول لقاء بين الترك والعرب بدأ بعد دخول الإسلام إلى العراق) كما ورد ذكرهم في مدونات الجاحظ، إذ ألف الأستاذ زكريا كتابي كتابه، الترك في مؤلفات الجاحظ، إذ ذكر الجاحظ أنه أخذ من الترك أكثر مما أخذ من مشايخه. (موصول - نور الدين - أربعة كتب عن الترك والتركمان - ص 79)

وهناك مصادر أخرى كثيرة تورد أن تاريخ التركمان يعود إلى أبعد من ذلك بكثير، ولسنا هنا في صدد البحث عنها، بقدر ما نحاول أن ننقل دور التركمان في عصرنا الحالي، في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية؛ لأن دور التركمان مهم في الحياة الثقافية والاجتماعية والأدبية، وله تاريخ حافل

بالدول والإمارات، وذكروا عند أقدم المؤرخين العرب منهم: الطبري والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون وآخرون، فهم أضافوا إلى التراث والثقافة العراقية الكثير، فهم مجتمع يمتلك منظومة من القيم والمبادئ التي تديم الأعراف والتقاليد والعادات الأصيلة، التي تعتبرها صفاتها التي تميزها بوصفها ثقافة حية في التفاعل الإيجابي بالتأثر والتأثير، وذلك أحد أسباب تماسك المجتمع التركماني بثقافته المتأصلة والمتجذرة في عمق التاريخ.

طوز خورماتو هي من أشهر الأفضية، التي ظلت مرتبطة إداريا بكركوك طوال العهد الملكي، وحتى قرار النظام البعثي بربطها بمحافظة صلاح الدين، بغية توسيع رقعة المحافظة التي ينتمي إليها، رغم كون مدينة طوز تبتعد عن تكريت مركز المحافظة أكثر من 130 كم علما أن المسافة بين مدينة طوز وكركوك يبلغ 70 كم.

هذه المدينة في جغرافيتها تتوسد جبل مرتضى علي ويسقيها نهر أبيض (آق صو) هادئة إلا من صوت العصافير وأزيز محركات السيارات التي تقل المسافرين بين بغداد والمحافظات الشمالية، أغلب سكانها من التركمان إلى جانب الكرد والعرب، سكنها اليهود أيضاً حتى الخمسينيات من القرن العشرين، والتركمان أغلبهم من عشائر البيات التي يرجع أصلها إلى أكبر قبائل الترك الأوغوز ويتفرعون إلى تسميات تعود إلى مهن أو كنى مثل النجار أو دامرجي وكنى مثل جايرلي وغيرها كثير، اللغة التركمانية غالبية في المدينة مركز المدينة والأسواق الرئيسة يتكلمون التركمانية بالإضافة إلى الكردية والعربية، جميع سكانها مسلمون والتركمان يتبعون المذهب الشيعي والكرد والعرب يتبعون المذهب السني، وهذا الاختلاف كان له تأثير في العلاقات وتأجيج الطائفية في المدينة بعد سقوط نظام البعث، إذ حاول التكفيريون وتنظيم القاعدة في بداية الأمر عبر أجنادات كانت تسيرهم أن يخلقوا فتنة الطائفية ونجحوا أول الأمر في بث الفرقة بين أهالي المدينة ولكن تدارك أهالي المدينة هذه الخطوة وحاولوا مواجهة هذه الأفكار التطرفية ودفع أبناء المدينة من جميع القوميات والمذاهب ضريبة الدفاع عن الوحدة والأخوة فكانت الدماء تسيل وتختلط بين جميع القوميات، وبعد فشل مشاريعهم الطائفية لجأوا إلى عمليات الاختطاف والقتل وتفجير المساجد والحسينيات والأسواق وحتى البيوت دون تمييز بين طفل أو شيخ وبين امرأة فكان الجميع مستهدفاً ويتنظر دوره دون أي قدرة على مواجهتهم أو التصدي لهم.

إن الأحداث والوقائع التي مرت على الشعب التركماني في مدينة طوز خورماتو كان لزاما علينا أن نذكرها في هذه الصفحات ويؤسفني أن أقول إنها أحداث مؤلمة بكل معاني الألم ولو تتبعنا وقائعها مع الأيام ستشكل جزءا يسيرا من قصة حياة شعب لم يطلب أكثر من حياة كريمة والعيش بحرية أسوة بباقي المجتمعات، إن هذه الوقائع درس عن الألم والإنسانية، وحجم مآسيها كبير جدا لتنوء منها الجبال وكما قال الشاعر الفرنسي بودلير: (إن لي من الذكريات أكثر مما لو كان عمري ألف سنة) فنحن نحمل من الألم الكثير وعلى الأجيال القادمة أن تعي ما جرى لأجدادهم وكيف واجهوا هذه الهجمات الوحشية بصبرهم وصمودهم، فهذا البحث رسالة إلى شرفاء العالم يتصل فيها الماضي بالحاضر وما يجري على أرض هذه المعمورة من أحداث لا يعلم بها إلا الله ونحن ننقل جزءاً يسيراً منها عبر هذا البحث.

نبذة تاريخية عن التركمان في العراق

التركمان في الأصل صنف من الترك، خرجوا من بلاد تركستان كان استقرارهم الأول في خراسان قديماً.

والتركمان العراقيون ينتمون من حيث السلالة العرقية إلى المجموعة نفسها التي فيها الأتراك، وموطنهم الأصلي هي آسيا الوسطى، وهم من الأقوام التي كانت تعيش على تربية المواشي وتعيش حياة البدو الرحل غالباً وكانت تعتمد على وجود الكلا لدوابها؛ لذا كانت ترحل في مناطق خراسان، وأواسط آسيا وما زالت تقطن هذه المناطق، وقد انقسمت على دول عديدة منها: تركستان، وطاجيكستان، وأذربيجان وقرغيزستان، وتركيا طبعاً، وكذلك يشارك التركمان وجودهم في كثير من البلدان مثل الهند، وباكستان، وأفغانستان، وإيران، والعراق، وسوريا، ولبنان وغيرها كثير.

وأطلق اسم التركمان على القبائل التركية التي سكنت العراق والأناضول إبان الفتح السلجوقي وبعده اتخذت من العراق وطناً أصيلاً، واختلف المؤرخون على لفظة التركمان من حيث المورد، فيهم من قال: إنها جاءت كلمة جامعة مثل ما يجمع الفرس كلماتهم بإضافة لاحقة (مان)، ومنهم من قال إنها جاءت بعدما دخل الترك في الإسلام، فأصبح الاسم متكون من مقطعين (الترك - وإيمان)، ثم جمع فأصبحت تركمان، وذهب آخرون بأنها مأخوذة من كلمة ترجمان، وحجتهم أن التركمان هي من الأقوام التي عاشت إلى جانب العرب المسلمين، وتميزوا بأنهم كانوا يتولون الترجمة بين العرب،

والترك، وهؤلاء أجادوا في وظائفهم التي شغلوها، ولكن الغالب على الآراء، أنها تنتمي إلى أحد فروع الترك.

إن التركمان في العراق أبناء هذا الوطن الأصلاء، وهم جزء حي من شعبه الكريم، وتشهد بذلك الوقائع التاريخية ولهم دور كبير في بناء الدولة العراقية ومشاركتهم في الحراك السياسي، تمثل وجودهم ضمن حركة الضباط الأحرار ودور قادتهم في المعارك للدفاع عن فلسطين، والقائد عمر علي مثالا حين وصل إلى حدود مدينة تل أبيب لولا تنازلات الحكام، وكذلك شارك التركمان بالثورات، وثورة تلعفر أوضح مثال كانت ضد الإنكليز، وقد يكون التركمان أكثر من أزعج الاحتلال الإنكليزي (النجار - عباس - التأثير الثقافي التركمان في العراق - 2022 - ص 22).

وهناك حقائق كثيرة من الحياة اليومية، والاندماج الاجتماعي؛ إذ تمازجت الدماء، واختلطت الأنساب وتداخلت الأسر وتجاورت المقابر، وتوحد الولاء وترسخ الانتهاء بمرور الزمن وتوالت الأحداث، وتشابكت الجذور تحت الأرض، وهكذا تشابهت السيما وسحنة الوجه؛ إذ أشربت بالسمار، والحزن العراقي المعروف، وتساوت معهم ملامح الشخصية العراقية المتميزة، فلم يعد هناك اختلاف كبير بين أبناء العراق من العرب، والأكراد والتركمان.

وعليه فإن اقتران التركمان بالإسلام في العراق يجعلهم أصلاء لوجودهم في العراق، مثل أصالة الإسلام في حياة العراقيين بشكل عام، ومن جاء به الإسلام لا يسع الآخرون رفضه، من هنا امتد تاريخ التركمان في العراق، وتعمق جذورهم في واقع مجتمعه مع امتداد تاريخ الإسلام، وجذوره ما جعلهم يتقاسمون مع سائر الشعب العراقي السراء والضراء ويواجهون الظروف الصعبة، والحقب المظلمة منذ فجر التاريخ الإسلامي في العراق، وإلى يومنا هذا.

لقد عانى التركمان كثيراً من الولايات، وواجهوا كثيراً من الاضطهاد على أيدي حكام الجور والطغيان منذ منتصف هذا القرن، ومع استلام حزب البعث السلطة، وسيطرة صدام حسين عليه بعد بطشه برفاقه البعثيين وقتلهم دون محاكمات، بدأت مدة دخول الشعب العراقي بكامله إلى دهاليز الظلمات سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وقد تعاملت حكومة البعث مع التركمان بعنصرية مقبلة، وبوحشية قل نظيره، إذ كانوا مستهدفين من ناحيتين القومية والمذهبية، وليس في الطيف العراقي أي إثنية تمتلك هاتين الميزتين اللتين كانتا سببا في دفع أهلها، وأبنائها إلى السجون ومنصات الإعدامات،

أو القهر والعيش تحت رحمة البعث، وكأنهم عبيد، أو مواطنين من الدرجة الثالثة، لا يحق لهم سوى أن يطيعوا أسيادهم من البعثيين القوميين ودائماً كان ينظر للتركمان نظرة استخفاف واستصغار من قبل أفراد حزب البعث؛ لذا أبعدوهم عن كل المناصب المهمة في الدولة، على الرغم من كون الأخير مهنيًا ومخلصاً في عمله، فهو يؤدي واجبا وطنيا وأخلاقيا، هكذا عرف التركمان في مؤسسات الدولة، منذ تأسيسها، فكانت التهمة جاهزة دائماً للتركمان، الأول بالاضطهاد الطائفي البغيض، والثاني بالتمييز القومي الشوفيني، ولقد تعرضوا من جراء ذلك إلى القمع والإرهاب بكل معاني الظلم الذي قل نظيره، إذ تم ترحيلهم عن مدنهم وتهجيرهم عن مناطق سكناتهم واعتقال وإعدام المئات من خيرة شبابهم وكبح تطلعاتهم التقدمية وحجب طاقاتهم العلمية، والكفاءات المهنية من ارتقاء سلم المناصب العليا وقهرهم، وصب عليهم صدام ريبب الحقد الدفين جام غضبه عليهم، انتقاماً منهم، لا لشيء سوى لأنهم تركمان وملتمزمون بعقيدتهم ولغتهم، نعم أنها كانت تهمة مزدوجة، تركمان يجب أبناء قومه، وإسلامي ملتزم بأحكام دينه وشريعته، إحدى هاتين التهمتين كفيفة أن تقود الإنسان إلى المقصلة فكيف إذا اجتمعتا على أمة مستضعفة وعلى شعب أعزل لا ناصر له ولا معين إلا الله تعالى شأنه.

إن الظروف القاسية التي مر بها تركمان العراق، من إعدام، وتهجير لأبنائهم، والغاية تغيير الطابع الديموغرافي لمناطقهم بشكل تعسفي، واضطهادي، وتصفيية، وهدم مدنهم، وقصباتهم مثل مدينة «تسعين، وقرية بشير» والقرى المحيطة بكركوك وتعليك بيوتهم ومحلاتهم لأعضاء من حزب البعث وبالإضافة إلى هذا الظلم للنفوس الحرة والضئائر الحية، هناك جهل واضح بمدى مظلومية التركمان في الوسط الشعبي العراقي، وحتى الثقافي، ما يشعروهم بالمظلومية المضاعفة والانكسار النفسي خاصة أنهم أبلوا بلاءً حسناً في ساحة الصراع والمواجهة الدامية مع نظام صدام دكتاتوري؛ إذ يشهد لهم بذلك حجم شهدائهم، وعدد سجنائهم وقوافل المشردين الذين هاجروا مع عوائلهم.

وأما في مواجهة التنظيمات الإرهابية، فكان للتركمان الحصاة الأكبر في تقديم القرابين، وجيش كامل من الشهداء المدنيين، أو من الأبطال في الحشد الشعبي، الذين سطوروا أروع الملاحم في الدفاع عن العرض، والوطن، وصانوا المقدسات، واستطاعوا كسر شوكة الإرهاب المتمثل بداعش بعد الفتوى المباركة فكانوا في طليعة المقاتلين مع إخوتهم من أبناء الوطن الأحرار.

التركمان في العراق يشكلون مكون رئيس ثالث على مستوى العراق، ومكون رئيس أول في الجغرافيات التي تشكل مناطق وجودهم، نظرا للدور الريادي لهذا المكون الأصيل في تشكيل ملامح المجتمع العراقي، منذ آلاف السنين في بناء تاريخه وحضارته وثقافته، وتراثه ولا سيما تلك الدول التركمانية التي حكمت العراق، كالسلاجقة، والأتابكة، والجلاتريون، والاليخان، والعثمانيون، ولا يزال إلى يومنا هذا دور مؤثر للموروث التركماني الثقافي، والفكري، والأدبي، والتراثي، وحتى السياسي بارزا، ومؤثرا في جميع مفاصل الدولة العراقية على الرغم من محاولات التهميش الدائم، والاستهداف المستمر للوجود القومي لهذا المكون الذي يعتبر من أكثر المكونات العراقية تضررا من قبل أغلب أنظمة الحكم منذ تأسيس الدولة العراقية.

القرارات التي أصدرها نظام البعث حول سلب حقوق التركمان:

- 1- قرار التهجير القسري.
 - 2- قرار منع استخدام اللغة التركمانية.
 - 3- تعريب المدارس وتغيير أسماء المحلات التجارية.
 - 4- منع استعمال الألقاب التركمانية.
 - 5- منع التركمان من التملك في مناطقهم.
 - 6- منع مزاوله التجارة.
 - 7- منع مزاوله الزراعة.
 - 8- منع توظيف التركمان في المناطق التركمانية.
 - 9- حرمان العوائل المتعففة التركمانية.
 - 10- مجموعة قرارات تغيير أسماء المناطق التركمانية.
- وجميع هذه القرارات كانت صادرة بحسب مرسوم جمهوري تصدر وتعمم إلى المحافظين ودوائر الدولة ليتم تنفيذها وللحصر أورد هذا النموذج:

٢٤٢..... وقائع مؤتمر ذاكرة الألم في العراق

- مرسوم جمهوري رقم (41) لسنة 1976 استنادا إلى موافقة مجلس قيادة الثورة والمادة الرابعة من قانون المحافظات رقم (159) لسنة 1966 المعدل وبناء على ما عرضه وزير الداخلية رسمنا بما هو آت:

أحداث محافظة باسم محافظة صلاح الدين ويكون مركزها في مدينة في مدينة تكريت ويتبعها كل من الأفضية التالية بكامل حدودها الإدارية:

- قضاء تكريت

- قضاء سامراء

- قضاء بلد

- قضاء طوز

- إبدال اسم محافظة كركوك باسم محافظة التأميم، ويتبعها كل من الأفضية الآتية:

- مركز كركوك

- قضاء الحويجة

على وزير الداخلية تنفيذ هذا المرسوم (الهرمزي حبيب - مؤسسة وقف كركوك - الطبعة الثانية، ص 272).

طوز خورماتو

تقاس عظمة المدن، وتاريخها من خلال ما أرخته أعوامها من التناجات، والإبداعات والثقافات المتنوعة، التي أعطت بمدلولاتها الواضحة عن أصالة هذه المعالم المتعددة، وذلك من خلال استلهاهم المعاني الحقيقية للجانبين، التاريخي، والاجتماعية، إذ أخرجت العلوم الحضارية والمعرفية وأفرزت على ضوئها معطيات فنية اعتبرت - وليومنا هذا - كنوزا من حيث الأهمية التاريخية والأثرية.

طوز خورماتو هذه المدينة الوديعه التي تميزت بطرازها الشعبي والمعماري التي ميزتها تراثيا عن باقي ما تجاورها من قصبات - ومناطق، تفتح ذراعيها للزائرين من كل حذب وصوب وتستقبل ضيوفها في كل وقت وحين، وهي شريان الوصل بين العاصمة بغداد بمحيطه الخارجي، إذ تحمل في

طياتها حلاوة الماضي وعبق موروثها الشعبي، هذه المدينة التي أصرت على عنوانها الإنساني والتراثي على الرغم من تكالب السنين عليها، فإنها ما زالت تحتفظ بشواهد تدل على معالمها الخالدة فهنا معمل للطابوق وخان هناك، مرقد هنا وبساتين شاسعة الخضرة هناك، نهر يقطع جسد المدينة مغزلاً أزقتها وحواريها ومداعباً أطفالها هنا، وطاق ضيافة (قنبر أغا) بيت قديم لأحد وجهاء المدينة كانت مبنية على الطراز البغدادي القديم سوي بالأرض هناك، شخصيات اجتماعية أفاضت المدينة رؤية شعبية هنا، وشهداء عبدوا أعوامها بتضحياتهم هناك، هذه المعالم هي باختصار تحمل تأريخ الماضي وعنوانه الجميل بكل تفاصيله، إنها باختصار يا قوتة القصبات التركمانية، وعنوان هويتها.

جغرافيتها

تقع هذه المدينة الغافية بين أحضان جبل مرتضى علي (عليه السلام)، ونهر آق صو الخالد إلى الشمال الشرقي للعاصمة بغداد، وعلى مسافة (180) كم، 2، تحدها من الشمال محافظة كركوك بمسافة (70) كم ومركز محافظة صلاح الدين غرباً بمسافة (130) كم، وسلسلة الجبال المحاذية للقرى والمناطق التابعة لمحافظة السليمانية شرقاً، حيث أكثر أراضيها سهلية ومنبسطة، وفيها بعض المرتفعات كالجبال والتلول، وأكثر تلوها أثرية، وتحوي على بعض المناطق الأثرية للخوريين، والسلاجقة، وكذلك للصفويين، والعثمانيين، التي ما تزال آثار البعض منها قائمة لوقتنا هذا، هذه المدينة التركمانية الخالصة تقع على ملتقى الطرق بين الجبال، والسهول، وقد تكون آخر مدينة نحو شمال العراق يزرع فيها النخيل، ويمر من وسطها طريقان أحدهما للسكك الحديد الذي كان يربط العاصمة بغداد بالمحافظات الشمالية (فيما مضى)، وكذلك طريق المركبات بين بغداد وكركوك ومنها إلى المحافظات الشمالية والبوابة التركية لأوروبا.

سكانها

يبلغ عدد سكانها أكثر من (250) ألف نسمة، وغالبيتهم من أصول تركمانية، وقسم من العرب والكرد، وفي العقود الماضية وتحديداً في أربعينيات القرن الماضي كان اليهود يشكلون نسبة من سكان مدينة طوز، وما زالت بعض من بيوتهم شاخصة حتى اليوم، وقد بلغ عدد نفوسهم أكثر من (40) عائلة بعد أن سكنوها قبل حوالي ثلاثة قرون وبشكل تدريجي أي في العام 1737م، وسميت أزقتهم وحواريهم بأسمائهم (محلة اليهود)، وما تزال التسمية قائمة لوقتنا ولغتهم الخاصة كانت (العبرية)

إضافة إلى اللغة التركمانية، ومن العشائر المعروفة في مدينة طوز خورماتو هي عشيرة البيات التي تحتل مساحة واسعة من مناطقها وتشكل ما نسبته أكثر من (80 ٪) إضافة إلى لهص من العشائر العربية والكردية، وبالتالي فأنها تشكل فسيفساء من نسيج مدينة طوز خورماتو، فهي تمتد على طول الطريق العام بغداد كركوك، وتتوفر على المطاعم والمقاهي التي يستريح فيها المسافرون، ويقصدها سكان القرى المجاورة الكبيرة للتسوق وإصلاح أدواتهم، ومكائنتهم الزراعية؛ لأن أغلب أهالي المدينة لهم مهنة كالنجارة، وصناعة الأدوات الزراعية، وتجارة الحبوب، وبيع منتوجاتهم ومحاصيلهم الزراعية، إذ أغلب هذه القرى تشتغل بالزراعة، وخاصة المحاصيل الموسمية، وجزء كبير منها يصدر إلى أسواق المحافظات الأخرى، وتمتاز مدينة طوز خورماتو بصنع الأواني الفخارية وفيها مقالع الحجر ومعامل الحصى والجص.

وطوز خورماتو تحفل بطاقات فنية وثقافية وأدبية، ولها إنتاج واضح في هذا المجال، وفيها مقامات ومزارات شريفة عدة، منها مقام (السيد أحمد) ومقام (مرسى علي)، ويعني المكان الذي وقف عليه الإمام علي (عليه السلام) حين كان يطارده الخوارج، وهذا حسب الروايات الشعبية التي يتداولها الناس، وهو مكان مقدس عند أهالي المدينة، وله موسم خاص للزيارة، والذي يقع على قمة أحد الجبال المحيطة بالمدينة، وقد هدم النظام البعثي هذا المقام في التسعينات من القرن المنصرم، وبنى مكانه محمية عسكرية، وبعد سقوط النظام بني من قبل أهالي المنطقة، ومقام باسم شيخ محسن، الذي يقع في مركز المدينة وهي مقبرة بالقرب من جامع الإمام علي (عليه السلام)، بالإضافة إلى عدد من المساجد والحسينيات التي يقيم فيها التركمان شعائهم في كل مناسبة دينية، وبرز في طوز عدد من الأدباء مثل علي معروف أوغلو الذي ألف في عناوين كثيرة وترجم قصائد سعدي الشيرازي من الفارسية، وكتب في الفلسفة واللغة، واحتل الشاعر (حسن كوره م) حسن البصير مساحة واسعة في الشعر التركماني وله ديوان رؤيا، والأديب محمد بيات، الحاصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة باكو أذربيجان على رسالته عن الشاعر فضولي البغدادي، وعرفت هذه المدينة في الوسط التركماني بمدينة الشعراء والأدباء لكثرة من ينظمون في الشعر والأدب، واشتهرت هذه المدينة بشخصياتها الفنية مثل الرسام محمد مهدي آقصو الذي كرم من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم تقديرا لأعماله الفنية، والفنان أكرم طولز المناضل الذي سجن لأكثر من مرة في سجون النظام وحكم بالإعدام ونجا منه بأعجوبة، وكانت تسمى مدينة طوز مدينة الأفندية نسبة إلى كثير من المثقفين والعلمين.

تأريخها

إن تأريخ هذه المدينة يضرب بقدمه في عمق التاريخ، التي جاءت تسمياتها بأسماء عدة منها (خارشي - خورمتي - حواري متي - خاينجار)، التي استقرت فيما بعد على تسمية طوز خورماتو وتلفظ عند أهلها (ب دوز خورماتى) وهي اللفظة الصحيحة، وذلك إبان الاحتلال المغولي لمدينة بغداد سنة (656 هـ 1258 م)، إذ تبدل اسمها من (خاينجار)، إلى طوز خورماتو، وهي تسمية تركية مكونة من ثلاثة مقاطع (دوز = وتعني الملح، خورما = وتعني، التمر، توت = وتعني التوت فاكهة)، وهي مواد مختلفة في التكوين، والمذاق وهو ما يحتاج إلى التأمل والتدقيق، وذلك بحسب رأي بعض الكتاب.

ثقافة أزيلية

مدينة للأدب، والثقافة كان حصتها خلال سني عمرها من الثورات الشيء الكثير، وكانت نتيجتها كوكبة من الأسماء اللامعة قرايين لأرضها، ونخيلها، ونهرها، وعطائها الثر، وجبلها الأشم الذي يحمل اسم سيد الأوصياء أبا الحسين علي المرتضى (عليه السلام)؛ لذلك فإن عقب الماضي وتجلياته، والذي ألقى بظلاله على رؤى الحياة الاجتماعية، وإفرازاته قد شكل أرجوحة سطرت من خلالها الفنون الروحانية لأنامل فنانيين أبدعت على الرغم من بداءة أعمالها، وتشكيلاتها آنذاك، والبعيدة كل البعد عن التكلف والنمطية، إذ شهدت هذه المدينة التركمانية بأصولها، وجذورها، وتأريخها، وتركيبها السكانية الكبيرة وبمواقفها الوطنية على مر المراحل بالعديد من التفاصيل التي جعلت منها نبض الحياة الأدبية والثقافية التركمانية، وأضحت النواة الأولى لغزارة الإنتاج في الجوانب الفكرية والثقافية والشعبية وعموم التركيبة الجمالية.

نهر يئن من الظماً

نهر آق صو الذي يجري من شمال مدينة طوز، ويقتطع أجزاء عديدة فيما مضى من حواري المدينة، هذا النهر ترتفع مناسيبه في فصل الشتاء، والربيع، وذلك بحسب مواسم هطول الأمطار، إذ يسقي أراضي القرى بساتينها المطلة على ضفافه، إذ ينبع هذا النهر بمائه الأبيض كاللبن المصفى من بين الينابيع الموجودة على أطراف جبال ومرتفعات (قره داغ)، و (سور كورمه داغ)، ثم يتجه غرباً ليخرق جبلين شاهقين، (قره غوول داغي)، و (مرتضى علي داغي)، أو (مرسى علي) ليكون بالتالي المصدر الإروائي

الوحيد للأراضي الزراعية في طوز خورماتو، والقرى التركمانية الواقعة على ضفافه، ثم يشكل في النهاية إلى جانب (خاصة صو)، و (طاووق صو) وهي أنهار متممة لنهر العظيم الواقع جنوب غرب المدينة، أما بالنسبة إلى تسمية نهر آق صو بهذا الاسم فهناك دلائل ووثائق تاريخية تؤكد هذا الاسم فقط دون غيره؛ لأنه سمي من قبل الساكنين الأوائل حول ضفافه، وأن أول الساكنين حول منبعه هم من العشائر التركمانية، ولم تسبقهم في ذلك أية عشيرة أخرى. وهناك شواهد جغرافية تؤكد أن أسماء الأنهار تتغير من منطقة إلى أخرى، وبحسب لغة المنطقة التي يمر بها، فمثلاً نهر الفرات ينبع من الأراضي التركية، ويسميه الأتراك بـ (قره صو)، و (مراد صو) أي الماء الأسود، وحينها يدخل الأراضي السورية والعراقية يسمى بـ (نهر الفرات)، أي حسب اللغة التي يتم التحدث بها في المنطقة كما أسلفنا، وعلى هذا الأساس نهر آق صو سمي بهذا الاسم؛ لأن لغة المنطقة التي يمر بها تركمانية، وبالتالي فإن هذا الاسم مدرج ومسجل في الوثائق والكتب، التاريخية والجغرافية، والخرائط العالمية، وهو الآن يعاني من الجفاف في معظم أجزائه.

شتان بين الأمس واليوم

هذه نظرة عامة إلى المدينة... إلى طفولتها... إلى أيامها... إلى لحظاتها... التي ما بدلت ثيابها يوماً منذ عشرات السنين، فهي لم تجد من يمسح على رأسها، أو يشتري لها ثياب العيد؛ لتظهر بمظهر الجميلات أسوة بقرياناتها من المناطق التركمانية، وغيرها؛ إذ أهملها النظام البائد عمداً وقسراً لا شيء سوى أنها سلكت طريق الحرية والعدالة والقيم الإنسانية لأهل البيت (عليهم السلام)، ولقوميتها المؤطرة بحب الأرض والوطن، هذه المدينة التي هي زهرة، وياقوتة (توركمين أيلي) مدن التركمان، كثيرة حكاياتها، ومتشعبة تفاصيلها في السابق، والحاضر، وكل القراءات، والأشعار لن تفيها حقها التي طغت على عناوينها علائم الموروث التركماني الأصيل، وأضحت بأبعاد ومفاهيم فلكلورية تحاكي التاريخ، وعقب الماضي عبر تقاسيمها المتنوعة، التي رسمت لنفسها خطاً تراثياً أغنت كثيرين من المتابعين عن عظم أسرار هذا التشكيل الراسخ في أذهان كثيرين.

وشهدت مدينة طوز خورماتو صحوة إسلامية عارمة، وتساعد الوعي الديني والسياسي في سبعينيات القرن العشرين؛ مما جعل النظام البعثي يحسب لها حساباً خاصاً وهكذا شنت الأجهزة القمعية حملة اعتقالات واسعة في صفوف الشباب بين عامي 1980 - 1981، أسفر عن إعدام مجموعة

من خيرة شباب هذه المدينة المجاهدة بحجة انتمائها لحزب الدعوة الإسلامية، على الرغم من كون أغلبهم سيقوا إلى المشانق بحجة الاشتباه، ولكن ذلك لم يؤثر على موقف أبنائها الأبطال المعارضين للنظام، والرافضين لنهجه الدموي، وهكذا عندما ثار الشعب العراقي بوجه النظام وقواته الغاشمة في الانتفاضة الجماهيرية الواسعة في آذار/ شعبان 1991م، ثارت طوزخورماتو إلى جانب بقية المدن في الشمال والجنوب، وبقيت محررة لمدة تزيد عن عشرة أيام، وقد استخدم النظام البعثي القنابل الفسفورية والنابال في الهجوم على المدينة، وانتزاعها من أيدي الثوار المجاهدين، واستيحت المدينة بعد دخول القوات الصدامية، إذ بدأت عمليات تفخيخ البيوت وتفجيرها، بعد القصف العشوائي، الذي سقط على إثره كثير من المدنيين وتدمير المحلات والبيوت ونهب ممتلكات سكان المدينة من قبل مرتزقة النظام، ومن بعض القرى المجاورة مع الأسف، وألقي القبض على المواطنين المدنيين وزجوا في السجون من دون أي محاكمة أو توجيه تهمة لهم.

ومدينة طوزخورماتو بجهادها، وتضحيات شبابها تعد صفحة مشرقة في تاريخ التركمان ودورها بارز في ظل الشعب العراقي وجهاده من أجل الحرية والكرامة والعدالة.

لا تخلو مدينة، أو منطقة، أو قرية تركمانية من شهيد، بل من شهداء انتفضوا وثاروا بوجه الطاغية صدام حسين ونظامه الديكتاتوري وقاوموا ببسالة وشجاعة نادرة ضد سياسته العنصرية.

وهناك مدن تركمانية لا يخلو حي من أحيائها، أو شارع فيها من الشهداء، ضحايا نهج العنصرية والطائفية، وتساوت المدن والقرى والأحياء والأزقة التركمانية في تقديم التضحيات، لذا فإن كل عائلة من العوائل إلا ولها شهيد أو معتقل أو مهاجر فار بدينه وحياته، وهذه ليست مبالغة بل واقع سيكتشفه القارئ بنفسه من خلال صفحات هذا البحث؛ لأنها تستند على وثائق ومصادر وشهود عيان توثق ذلك وإن الشهداء التركمان هم شهداء جميع المناطق التركمانية، وليسوا شهداء منطقة معينة فقط، وإن انحدروا منها وانتموا إليها، وأن الاقتصار على ذكر بعض المدن والمناطق التركمانية من دون غيرها في هذا القسم من البحث جاء بسبب ورود أسماء هذه المدن والمناطق في التعريف بالشهداء، وعليه لا يعني أن الشهداء التركمان محصورين في هذه المناطق دون غيرها، ولكن قد لا يعرف شرائح واسعة من العراقيين أو غيرهم سوى النزر اليسير عن المناطق التركمانية وأسمائها. من هنا بات من الضروري التعريف بالمناطق والمدن التركمانية التي ذكر البعض منها (دار الدليل للصحافة - كتاب الشهداء التركمان. ص 22).

ارتأيت الحديث عن الشهداء حتى يكون الكتاب موثقاً بشكل موضوعي دقيق وكامل. ولا بد من التأكيد أن هذه المناطق ليست هي جميع المناطق التركمانية التي قدمت تضحيات في العراق، بل البعض منها ظهرت نتيجة الحديث عن الشهداء والتعريف بها في محاور البحث وقاعدته البحثية، وبما أن هذا البحث هو الجزء الأول في مجاله، فإنه في الأجزاء الأخرى القادمة كلما ظهرت أسماء المناطق، والمدن في الحديث عن الشهداء يتم التعريف بتلك المناطق والمدن كمقدمة لازمة ومدخل ذات أهمية لإعانة القارئ على الإحاطة الموضوعية وفهم أعمق للواقع الاجتماعي والسياسي للتركمان.

لا توجد أدنى درجات التكافؤ بين عدد نفوس التركمان ونسبة شهدائهم الذين أعدموا على يد نظام صدام الدكتاتوري بين عام 1980 - 1981م، إذ نسبة الشهداء أكبر بكثير بالقياس إلى حجم النفوس وفوق طاقة وقدرة التركمان. خاصة مع اعتبار المرحلة التاريخية القصيرة جدا التي لا تتجاوز في أكثر التقديرات سنتين، إذ أعدم النظام فيها أكثر من (300) شهيد تركماني، وبلغ عدد الشهداء بين أعوام 1979 - 1991م، أكثر من (500) شهيد، تمت تصفية غالبيتهم في سجون أبي غريب بالإعدام شنقا حتى الموت، منها (دار الدليل للصحافة- كتاب الشهداء التركمان. ص 37) وهذا ينطبق على الشهداء الذين سقطوا جراء العمليات الإرهابية بعد سقوط النظام فإن مدينة طوز وحدها قدمت أكثر من (2000) شهيد وعدد المصابين تجاوز (4000).

وفي أحداث الانتفاضة الشعبانية بعد أن سيطرت قوات نظام البعث على المدن المنتفضة مثل طوز خورماتو، وتازة، ودقوق، وكركوك، ومناطق أخرى قامت أجهزة النظام بالإعدامات المباشرة وألقت القبض على كثيرين، وأدع عدد كبير منهم السجون دون محاكمات، سواء أ كانوا مشتركين في الانتفاضة، أو كانوا من المدنيين الذين ألقى القبض عليهم. وهناك أعداد أخرى استشهدوا في المواجهات المسلحة مع النظام سواء في الداخل، أو من المعارضين الذين اغتيلوا في دول مختلفة، أو الذين سقطوا في مواجهات مباشرة مع أزام النظام في مواجهات للدفاع عن أنفسهم ومدنهم.

إن النظام البعثي لم يجعل أي اهتمام لمطالب الجماهير، في الجنوب، والشمال، والذين يشكلون أغلب سكان العراق، وحتى في بعض المناطق الغربية، فكان منهجه هو القمع، والاضطهاد وعدم السماح للمعارضة بعرض مطالبه، أو الاستماع إليهم، ولم يسمح لأي كان أن يقف ضد سياساته التي دمرت العراق إضافة إلى تفتيت الوحدة الوطنية.

وبالنسبة للتركمان حيث المعارضة فيها ما زالت تسير كدبيب النمل، ولم تخضر من شجرتها سوى بعض الأوراق والأغصان، ومع ذلك أن يعتمد النظام إلى البتر وقطع الرؤوس بلا حساب أو اعتبار، فهذا يعني انتقام، وغاية في الاستهتار بالدماء، والأرواح البريئة، وإن الذي كان يغذي هذه العدوانية والكرامية الصدامية وبوحشية متناهية في الحقد والبغض هو عامل مزدوج طائفي وعنصري، وهكذا أصبح التركمان بين فكي هذا المقص فتضاعف عدد شهدائهم، فالذي ينجو من الحقد الطائفي يسقط في تهمة بفعل التمييز العنصري، والذي لم يجد مهرباً من العنصرية البغيضة تلاحقه الطائفية السياسية. ويمكن الاستدلال على القياس إلى نفوسهم من خلال دليلين: الأول في حديث وثائقي مسجل على كاسيت

اجتماع حزبي للكادر المتقدم للحزب الحاكم في مدينة كركوك يديره علي حسن المجيد قال للحاضرين في تعليق له: «بأننا أعدمنا (100) (دار الدليل للصحافة- كتاب الشهداء التركمان، ص 45).

شخص من قرية بشير بتهمة حزب الدعوة العميل، وهذا اعتراف رسمي من مسؤول حزبي يكشف عن الإجراءات المتبعة مع التركمان، علماً أن (بشير) قرية صغيرة تبعد (15 كم) عن كركوك، والقرى العراقية لم تكن كبيرة في ذلك الوقت، فهي تبقى قرية من بيوت عدة، وفيها عوائل محدودة بينهم صلة رحم ونسب، والإنسان مهما بالغ في تصور نفوس هذه القرية وعدد بيوتها فإنه سيصاب بالهلع والارتعاش، لذا يسمع أنه في خلال أقل من سنتين تم إعدام أكثر من (100) شخص من هذه القرية (الهرمزي حبيب، مذكرات صحفي تركماني، ص 67)

الثاني: مدينة تسعين كانت قرية تابعة مباشرة إلى كركوك، وفي السبعينيات ألحقت بكركوك نتيجة التوسع العمراني، والامتداد السكاني من كركوك باتجاه «تسعين»، ولكن بقيت ضاحية صغيرة من ضواحي كركوك فقد أعدم النظام منها بين سنة 1980 - 1981م، أكثر من (١٥٠) شخصاً، كم هي عدد بيوت تسعين وحجم نفوسهم حتى يوازي عدد شهدائهم - أو يتناسب مع هذا العدد الهائل من الشهداء؟ فلا نجد بيتاً في مدينة تسعين إلا وكان له نصيب من ظلم صدام واضطهاده، على ضوء هذين الدليلين يمكن للإنسان أن يقيس نسبة شهداء التركمان مع نفوسهم وأن يتعرف على أوضاع بقية المدن والمناطق التركمانية وحجم تضحياتها وعدد شهدائها.

٢٥٠..... وقائع مؤتمر ذاكرة الألم في العراق

أما عن مدينة طوز فأن عدد الشهداء يختلف، فيقسم على قسمين شهداء الذين أعدموا أو تم تصفيتهم من قبل أجهزة النظام خمسمئة شهيد، وفي أحداث الطائفية بلغ (2000) شهيد.

نسبة شهداء التركمان عالية، ومرتفعة ولا يتناسب مع واقعهم السكاني، واحتمالات الخطر الذي سوف يشكلونه على النظام، والتهديد بإسقاطه لم تكن واردة، وأن هذا الحجم الكبير من تضحية وارتفاع عدد الشهداء يكشف عن أمور عدة منها: قوة المعارضة النامية، واتساع دائرة الرفض للنظام وسياساته التمييزية الطائفية، والعنصرية في وسط التركمان.

إن قوة التيار الإسلامي التركماني وعمقه وتجذره في الوسط الشعبي، بحيث يلجأ النظام إلى إعدام أكثر من (500) شخص بتهمة الانتماء إلى حزب إسلامي ومناهضة النظام الدكتاتوري. (الهرمزي حبيب - مذكرات صحفي تركماني)

الحقوق

عدم المساواة واعتبارهم أقليات وهضم حقوقهم، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة إلى يومنا هذا فإن الدولة دائماً كانت تعارض حقوق هذا الشعب ولو بنسب متفاوتة، وحتى اتهم الزعيم عبد الكريم قاسم بالشعبوية نتيجة تصريحاته، بأن الشعب التركماني أحد الروافد الأساسية للدولة العراقية بقوله: (وإنني أبارك لإخوتي التركمان صبرهم، وسوف أسعى جاهدا لرعايتهم، فقد أصبح الشعب في الأوقات كتلة واحدة مترابطة لا يفرق أبناءه بعد اليوم مفرق) وفي مقام آخر قال: (إن بلدنا يتكون من عدة قوميات من أبناء الشعب، وهم العرب الأفحاح ويليهم بالنسبة إخواننا الأكراد وإخواننا التركمان والأقليات الأخرى، كل هذه القوميات متحابّة متآخية فيما بينها لخدمة هذا البلد).

أما اعتبار التركمان أقلية وبقايا الدولة العثمانية فهذا منافٍ للحقيقة، وحجة باطلة لأن التركمان مثلما أوضحنا في الصفحات السابقة أن انتماءهم أصيل، وهم يشكلون جزءاً أساسياً من الشعب العراقي، وقد يكون هذا نتيجة تعرض العراق إلى الاحتلال الإنكليزي وإبعاد الشعب التركماني عن انتمائه إلى الأمة التركية.

إن الظلم الذي بدأت بواذره على هذه المدينة بشكل واضح وجلي، وعلى كافة بقاع التركمان إبان حكم البعث القومي هو بممارسة الضغط النفسي على المواطنين التركمان لتغيير قوميتهم من التركمانية

إلى العربية تحت عنوان (تصحيح القومية)، ومنعت السلطات المواطنين من تسجيل أنفسهم من القومية التركمانية في الإحصاءات، وفرضت عليهم تسجيل أنفسهم عرباً، وهذا أمر خطير وكانت الغاية الأساسية عبر استمارات الإحصاء التي ستتضمن معلومات مغلوطة علماً أن أبرز من كانوا يشرفون على عملية الإحصاء هم من العناصر الأجهزة الأمنية والحزبية، وهذا الضغط جاء لإجبار المواطنين التركمان على تغيير سجلات نفوسهم من التركمان إلى العرب، وذلك لإبقائهم في مناطقهم وخلاصهم من القمع والاضطهاد الذي يتعرضون له، ويمكنهم بعد ذلك السماح لهم بالتعيينات، والتوظيف في المؤسسات الحكومية، وبخلاف ذلك يتم تهجيرهم إلى مناطق أخرى، أو نقل موظفيهم إلى المناطق الجنوبية، وملاحقتهم، أو زجهم في السجون، ونتيجة ذلك أذعن بعض العوائل لهذه الضغوطات ولكن بنسبة قليلة جداً، وحتى الانتماء إلى صفوف حزب البعث لإنقاذ أراضيهم، ومصالحهم، وإبعاد أبنائهم من بطش الأجهزة الأمنية وسلطة حزب البعث.

وأما ما حدث بعد سقوط النظام البعثي القومي، وتطلع جميع العراقيين إلى الخلاص، والخروج من ربقة الظلم، والاضطهاد إلى فسحة الحرية، ونيل الحقوق القومية، وممارسة طقوس انتهائه المذهبي والولائي لآل البيت، قد واجهته تنظيمات متطرفة تمثلت بتنظيم القاعدة، ومن ثم تنظيم داعش التي ادعت في بداية الأمر أنها تواجه المحتل، ثم تبين أنها لا تواجه المحتل بالعكس وجهت كل طاقاتها وحققها، وركزت هجماتها في المناطق الشيعية، والمناطق تركمانية في صلاح الدين وكركوك وموصل وديالى.

فلسفة الألم

إن أول اعتداء على مقدسات أهالي مدينة طوز هو تفجير مرقد مرسى علي الذي يقع في أعلى قمة الجبل المسمى بالاسم نفسه فجر يوم 22 / 8 / 2003 م (معمار أوغلو- نيازي، بين خنادق الموت - ص 266) وبواسطة خمس عبوات ناسفة؛ مما أدى إلى تدميره بالكامل، وعلى أثر هذا العمل الإجرامي الهمجي غير المسوغ خرج أهالي طوز خورماتي بمظاهرات استنكار كبرى على هذا العمل الإجرامي، والذي نفذه المجرمون لبث الفتنة بين أبناء المدينة الواحدة. وكانت المظاهرات سلمية، ولم توجه ضد أي فئة، أو طائفة معينة، وكل ما في الأمر أن المتظاهرين كانوا يطالبون بإعادة بناء الضريح وبأسرع وقت ممكن، والكشف عن هوية الفاعلين، والاقتصاص منهم فوراً، وانقسم المتظاهرون قسماً،

الأول سار باتجاه الضريح المهدم، والثاني سار باتجاه مركز القضاء، لكن هنا وفي خضم هذه الأجواء المشحونة تم إطلاق الرصاص من قبل مسلحين مجهولين باتجاه المتظاهرين؛ مما سبب باستشهاد خمسة أشخاص وجرح أحد عشر آخرين جميعهم من القومية التركمانية ويعد هذا الانفجار أول حادثة تفجير في العراق الجديد، لتبدأ مرحلة الطائفية المتمثلة بكل أشكال العنف.

الشهداء الخمسة هم:

- 1- محمد هاشم عسكر بياتلي.
- 2- جتين زين العابدين قنبر.
- 3- أحمد رمزي عبد الرحمن معروفلي.
- 4- أحمد حسين علي بياتلي.
- 5- أشرف مظهر قاسم كنه (معمار أو غلو - نيازي - ص 224).

لعل ما عانتها مدينة طوز خورماتو من معاني العذاب والألم فاق حدود الصبر، وإذا ما حكيينا قصصها قد تفوق بمرات عديدة قصة (البؤساء) للروائي الفرنسي فيكتور هيكو، فحجم الهجمات الانتحارية، والخطف، والقتل، وقطع الرؤوس، ووضع العبوات الناسفة في مفترقات الطرق، وفي الأزقة، وتفجير السيارات المفخخة بمختلف أشكالها إضافة إلى القصف بالهاونات، لم تبق وسيلة للقتل لم تستخدم في هذه المدينة، لقتل أهلها كيفما كانوا، مدنيين، أصحاب محلات، شباب في ملاعب الكرة، مسابح، حسينيات مقاهي صغيرة، أو كبيرة، مجمعات ثقافية، مدارس مؤسسات حكومية وأهلية سيطرات تفتيش، وساحات لبيع المواشي، مساطر لعمال الفاعل، فقراء، أغنياء، بسطاء مسؤولين، موظفين، مدنيين، عسكريين، أو كسبة ولم يستثنَ قبحهم أحدا، إضافة إلى التهديدات وقطع الطرق، وقتل المسافرين على الطريق بين بغداد وطوز، وتكريت وطوز، وكركوك طوز حوصرت المدينة من كل الجهات القتل أصبح شيئا طبيعياً لأناس مدنيين لا يملكون أي شيء للمقاومة سوى الدعاء، حتى الحكومة كانت عاجزة، على صد هذه الهجمات فكنا مشاريع سهلة للقتل والسبب معروف التمسك بالهوية الوطنية، والعقيدة والانتماء المذهبي ومن ثم تركمان.

شواهد عن الألم من الماضي والحاضر

الشهيد التربوي محمد عبدالله علي بولات معلم في مدرسة حسان بن ثابت، أحد المجاهدين التركمان الذي ضحى بنفسه من أجل أن يكتب مع الشهداء بشهادة ابنته الدكتورة لاله محمد عبدالله، رسم أبها صور الإباء والتضحية من أجل عقيدته ولغته بعد المضايقات المتكررة له لترك نشاطاته في إحياء المناسبات الدينية والوعظ والإرشاد لأبناء مدينته إلا أنه كان مصرا على النهج ورفضه فكر البعث ونهجه القومي لحريات الناس واضطهاده القومية التركمانية، وحين كان في دولة تركيا أثناء العطلة الصيفية لغرض العلاج سنة 1981، تم إلقاء القبض على العديد من أصدقائه وزملائه وطلابه، تم إبلاغه أن لا يعود إلى مدينة طوز لأن السلطات كانت قد قررت إلقاء القبض عليه، فكان رده سأعود حتى لو علقت جثتي في ساحة المدينة سأعود لأن بعودتي سوف أنقذ الكثيرين، ولا أقبل أن يتعذب الآخرين بسببي، ولأثبت للجميع بأنني على حق وهذا طريقي، عاد إلى أرض الوطن، وفي أول يوم لبدء العام الدراسي كان قد حضر لتسجيل مباشرته تم تطويق المدرسة بعدد كبير من رجال الأمن والشرطة وفي غرفة المدير تم إلقاء القبض عليه، وحسب روايات الذين كانوا معه في السجن استطاع إنقاذ كثيرين بأن ينفي التهم عنهم وينسبها لنفسه باعترافاته بأنه يتحمل المسؤولية وأن الباقي لا ذنب لهم فهو الذي كان يدعو إلى معاداة حزب البعث ورفض سياسته ليحكم عليه بالإعدام شنقا وقد تم إعدامه مع ثلة من المناضلين سنة 1982. (يوتيوب - برنامج رجال صدقوا - الجزء 2 - الحلقة 1 الشهيد محمد عبدالله بولات)

واقعة تفجير جامع الرسول الأعظم (ص) يرويها الشاعر عدنان عساف أوأغلو والانفجار الانتحاري المزدوج وسيارة مفخخة وقع يوم (16 / 9 / 2005) يوم الجمعة أثناء أداء صلاة الجمعة، بعد أن تم ملاحقة الانتحاري الذي أراد أن يفجر داخل الجامع أدرك الناس وتم ملاحقته وكانت بالقرب من الجامع سيارة مركونة لم يكن الناس على علم بها، حيث تم تفجير السيارة المفخخة وعلى إثرها استشهد عدد كبير من أهالي المدينة، وبلغ عدد الشهداء أحد عشر شهيدا ومن عائلة المتحدث أربعة شهداء، والعديد من الجرحى من رواد الجامع المتواجدين هناك. المصدر (شبكة الإنترنت - يوتيوب - برنامج رجال صدقوا).

تفجير مدخل مدينة طوز خورماتو ترويتها السيدة بشرى شكور مردان والدة الشهيد مصطفى عباس شمة الذي انقذ المدينة من أكبر عملية تفجير أعدت بسيارة حمل كانت قد جهزت حسب ما روي، بأكثر من ثلاثة أطنان من المتفجرات، ليتم تفجيرها داخل السوق لقتل أكثر عدد من المدنيين وتدمير أكثر ما تستطيع من البنايات لتوقع إضراراً كبيرة، وصلت السيارة المفخخة إلى السيطرة الواقعة في مدخل المدينة وتبعد عن الأحياء السكنية بضعة أمتار بعد أن تم إيقاف السيارة للاستفسار عن وجهتها والاستعلام عن صاحبها من خلال الوثائق الشخصية حاول الشهيد مصطفى مع زميله محمد بهجت أثناء واجبه منع دخول السيارة إلى داخل المدينة قام الانتحاري بتفجير السيارة واستشهد مصطفى وزميله مع بعض من كانوا بالقرب من عملية التفجير.

المصدر: يوتيوب - برنامج (رجال صدقوا) الجزء 2 - الحلقة 2 الشهيد مصطفى عباس.

الشهيد عباس جوما أحد الأبطال الذين دفعتهم شجاعتهم وبسالتهم في الدفاع عن أهالي ناحية تازة إحدى نواحي مدينة كركوك بعد أن استباحها داعش فاندفع مع ثلة من المجاهدين لإنقاذ المحتجزين من النساء والأطفال وبعد معارك لأيام مع الدواعش سقط شهيدا مع رفاقه في أرض المعركة (المصدر - أبطال صنعوا التاريخ - هجران قاضي أوغلو - مطبعة فضولي للطباعة - 2020 - الطبعة الأولى ص 205)

شهداء الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، منتدى طوز الأدبي

تتمتع مدينة طوز بتاريخ ثقافي، وأدبي حافل بالنتاجات على مستوى الثقافة التركمانية، وعلى مستوى أدباء العراق، ويبلغ عدد أعضاء منتدى طوز الأدبي (35) أدباء وشاعرا يحملون هوية الاتحاد وعدد شهداء منتدى طوز الأدبي يبلغ خمسة أدباء، تصور عزيزي القارئ حجم التضحيات التي قدمتها هذه المدينة المعروفة بالسواد والألم، في أدناه صور للشعراء الشهداء.



الشهيد الشاعر يالجن خيرالله بلو استشهد في
مقهى الأدباء في تفجير حزام ناسف



الشهيد الشاعر جاسم فرج تم خطفه على طريق
تكريت طوز ومن ثم قتله بصورة بشعة بتهشيم
رأسه بالخرسانة كان صوتا صادحا للحرية



الأديب محمد بيات كاتب وشاعر استشهد في
تفجير حسينية سيد الشهداء



الأديب والقاص هشام دامرجي استشهد في
انفجار عبوة ناسفة



الشاعر جودت قاضي أوغلو استشهد بعد
أن تم خطفه وفقد لسنين ليعلن بعد حين عن
استشهاده.

المصادر والمراجع

- 1- السالنامة: عبارة عن تقرير سنوي رسمي كان يصدر من إدارات الولايات العثمانية ويحتوي على معلومات كاملة عن الولاية من النواحي الجغرافية والسكانية والإثنية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها
- 2- التركمان في العراق وحقوق الإنسان - حسن أوزمن - ص - 15 طبعة أنقرة - 2002 .
- 3- عباس العزاوي، العراق قديما وحديثا، الطبعة السابعة، بغداد، 1982 .
- 4- تاريخ الأمم والملوك للطبري ج 4.
- 5- بحث تاريخي حول عشيرة البيات - شاكِر صابر الضابط - ترجمة نجات كوثر - كركوك 2015 - الطبعة الرابعة -
- 6- التركمان في التشريعات القانونية العراقية - حبيب الهرمزي - مؤسسة وقف كركوك - الطبعة الثانية -
- 7- موسوعة تركمان العراق نيازي معمار أوغلو. دار الرواق.

- 9 - 1. الهرمزي حبيب - (مذكرات صحفي تركماني) Şenyıldız matbeacılık إستانبول -
- 10 - قناة يوتيوب - برنامج رجال صدقو - الجزء 2 - الحلقة 7 عدنان عساف أوغلو.
- 11 - مصدر - التأثير الثقافي التركمان في العراق - عباس النجار - دراسة - طبعة أولى - 2022.
- 12 - المصدر - أبطال صنعوا التاريخ - هجران قاضي أوغلو - مطبعة فضولي للطباعة - 2020 - الطبعة الأولى.
- 13 - موصللو - نورالدين - قراءة وجيزة تحليلية في اربعة كتب عن الترك أو التركمان - دار التفسير الطبعة الأولى 2022.
- 14 - بين خنادق الموت - نيازي معمار أوغلو - الماهر للطباعة - طبعة أولى .
- 15 - عزيز قادر صمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق بيروت - 1999 -